سحابة عابرة!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾.

(سورة التحريم الآيات: ١ – ٥)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

(سورة الأحزاب الآيتان: ٢٨ – ٢٩)

* * *

«ربيع الآخر سنة ٩ هـ، ولا تزال بعض الجيوب المضادة للإسلام تشن بعض الغارات، وتعترض سبل القوافل، وتغير على الآمنين، وتحرص على أن تستعرض نفسها كقوة موازية تستطيع أن تقاوم الإسلام وأن توقف عليه انتشاره.. قد بعث النبى - عليه السلام - فى صفر - بقطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم التى تتخذ مضاربها بين «بيشة»: على خمس مراحل من مكة.. أرض مليئة بالأشجار والنخيل، وبين «تُرْبة»: واد على مسافة ميلين من مكة، يأخذ من «السراة» ويفرغ فى «نجران».. ما إن عادت السرية مظفرة من مهمتها، حتى خرجت سرية عليها علقمة بن مُجَزِّز المُدلجى وعبد الله بن حذافة السهمى إلى الحبشة.. فقد جاءت الأخبار بأن ناسًا إلى ساحل البحر من ناحية من الحبشة قد اتخذوا رأس جسر لقطع الطريق على عباد الله، وشكا منهم أهل «الشُعَيبة» فى ساحل جُدَّة بشاطئ بحر القلزم (الأحمر حاليًا) بطريق اليمن..».

«بجزيرة بالقرب من شاطئ بحر القلزم، وقد هرب الحبشيون، عبد الله بن حذافة السهمى فى بعض من السرية بالجزيرة وقد لفحهم البرد، يوقد وأصحابه نارًا يتدافئون بها ويصنعون بعض طعامهم.. فيداعبهم عبد الله بن حذافة وكان صاحب دعابة!».

عبد الله بن حذافة السهمى: (لأصحابه) أليس لى عليكم السمع والطاعة.

أصحابه : بلى.

عبد الله بن حذافة : ألم يأمركم رسول الله أن تسمعوا لى وتطيعوا؟!

أصحابه : بلى.

عبد الله بن حذافة : فإنى عزمت عليكم بحقى وطاعتى إلاّ تواثبتم فى هذه النار!

بعض أصحابه : إنا فررنا إلى رسول الله من النار، فكيف نلقى بأنفسنا فيها؟!

«يبادر آخرون من أصحابه فيهمون ويتحجَّز بعضهم حتى ظُن أنهم واثبون فى النار، فطفق عبد الله بن حذافة مراجعًا..».

عبد الله بن حذافة : (لأصحابه) اجلسوا إنما كنت أضحك معكم!

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى - عليه السلام - وسط أصحابه وقد فرغ العائدون من السرية إلى ساحل الحبشة من رواية ما كان بينهم وبين عبد الله بن حذافة السهمى والنار التى أوقدوها..

النبى : لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا.

بعضهم : (مرددًا) ما خرجنا منها أبدًا..

النبى : من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه.. لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى معروف!

* * *

«ربيع الآخر سنة ٩ هـ بأرض قبيلة طيئ عند صنم يقال له «الفُلْس» ذاع صيته فى شبه الجزيرة العربية.. أقامته طيئ على شكل إنسان أنفه أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له «أجأ أسود».. التمثال ضخم قائم فى أحضان الجبل كأنه إنسان شامخ، توقره طيئ ويوقره كثير من الأعراب.. يعبدونه ويهدون إليه ويعترون عنده عتائرهم (العتر بُقْل عشبى عطرى يتداوى به).. يأتيه الخائفون ليجدوا الأمان عنده، سدنته بنو بولان، وبولان هو الذى بدأ بعبادته فصار نسله هم سدنته.. على مقربة من موضع الصنم وسط الجبل، تصل سرية بعثها النبى – عليه السلام – عليها على بن أبى طالب لهدم وإزالة الصنم الذى تعبده البقية المشركة من دون الله.. على يقود السرية فى نحو مائتى رجل فيهدمون الصنم ويخربونه ويسوونه بالأرض، بينما يهرب عدىّ بن حاتم إلى الشام، ويعود المسلمون بثلاثة أسياف: رسوب، والمخْذم، واليمان.. عثروا عليها فى خزانته. يقال إن الحارث بن أبى شمر كان قد قلده إياها، ومعها ثلاثة دروع.. بينما حرص على بن أبى طالب على عزل أخت عدى بن حاتم الطائى عن باقى السبى، عائدًا بالجميع إلى المدينة المنورة حتى يرى رسول الله أمره..».

* * *

«المدينـــة، النبى – عليه الســـلام – يمر بين العائدين والســـبى، فتنهض له من باب المسجد امرأة تعـــترض طريقه، هى ســـفانة أخت عدى بنت حاتم الطائى، ولكن النبى – عليه السلام – لا يعرفها.

سفانة بنت حاتم الطائى : يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علىّ مَنّ الله عليك.

النبى : ومن وافدك؟

سفانة : عدىّ بن حاتم

النبى : الفار من الله ورسوله؟!

«النبى – عليه السلام – يمضى يتفقد الباقين، ولا يجيبها بشىء..».

* * *

«بعد يومين، والنبى – عليه الســـلام – يتفقد الســـبى، فيمر فيمن يمر على ســـفانة بنت حاتم الطائـــى، فتخشـــى أن تكرر رجـــاءه، فقد عاود رفضه بأمس.. إلاَّ أن صحابيًا يســـير خلف النبى يومئ إليها أن تكلمه – ســـفانة تنهض فتعترض طريق الرحمة المهداة..».

سفانة بنت حاتم الطائى : يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علىّ منّ الله عليك..

النبى : قد فعلت ذلك، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك مـن يكـــون لك ثقـة حتى يبلغك إلـى بلادك ثم آذنينى..

«سفانة لا تستطيع أن تغالب فرحها بمنّ رسول الله عليها، لا تستطيع عيناها أن تفارق طلعة الرجل الذى شجعها على مكالمة الرسول، تشير عليه إلى أحد الصحابة القريبين من النبى..».

سفانة : من الرجل؟

الصحابة : على بن أبى طالب.

* * *

«بعد أسابيع.. يمر بالمدينة ركب من قضاعة، فتتحرك أشواق سفانة إلى اللحاق بأخيها عدىّ فى الشام.. إن هذا الركب خليق بأن يصحبها معه آمنةً إلى حيث تريد.. تبادر سفانة إلى حيث الرحمة المهداة.. تلقاه فى المسجد بين الصحابة، فتدخل إليه وتقف أمامه واجفة مترددة».

سفانة : يا رسول الله قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ.

النبى : ما تشائين..

«النبى - عليه السلام - يبعث إلى نساء المسلمين أن يكسونها. ويجهزنها.. ثم يعطيها نفقة تعينها حتى تصل مع الركب إلى أخيها.. سفانة لا تفارق المدينة إلاّ وقد أضاء قلبها بنور الإسلام وشهدت أنه لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله..».

* * *

«بعد أيام بالشام، وقد التأم شمل سفانة مع شقيقها عدى بن حاتم الطائى.. ما إن جلست سفانة إلى أخيها حتى تبادره عاتبة!.

سفانة : (لأخيها) القاطع الظالم.. احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك!

عدى بن حاتم : (معتذرًا) أى أخَيّة لا تقولى إلاّ خيرًا، فوالله ما لى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت!!

«سفانة تهدأ قليلاً وتطفق تروى لأخيها عدى ما كان من أسرها ومنّ الرسول – عليه السلام – عليها، وكسوتها وإخراجها معززة مكرمة بنفقة أعطاها لها تعينها على الطريق حتى تصل إليه..».

عدى : ماذا ترين فى أمر هذا الرجل؟

سفانة : أرى والله أن تلحق به سريعًا، لن تنزل عنده وأنت أنت..

عدى : (وقد انشرح صدره لمشورتها) إن هذا للرأى..

* * *

«بعد فترة، بالمسجد النبوى بالمدينة.. النبى – عليه السلام – فى صحابته – يدخل عليهم مسافر قادم غريب، يلقى بالتحية على الرسول – عليه السلام..».

النبى : (متسائلاً) من الرجل؟

عدى : عدى بن حاتم..

«النبى عليه السلام ينهض لفوره، فينطلق بعدى بن حاتم إلى بيته.. وإنهما لفى الطريق تعترض امرأة بسيطة مسيرة النبى عليه السلام فتستوقفه فيتوقف لها، تحدثه حديثًا طويلاً فلا يمل من سماعها، ويظل ينصت إليها ويكلمها حتى فرغت مما تريد.. بينما عدى قد ملأته الدهشة مما يرى.. يقول لنفسه متمتمًا: والله ما هذا بملك؟.. يفيق عدى من تأمله على الرسول يأخذ بيده إلى البيت.. لا يكادان يدخلان حتى يتناول النبى وسادة من أدم محشوة ليفًا فيقدمها إلى عدىّ ليجلس عليها..».

النبى : (لعدىّ وهو يناوله الوسادة) اجلس على هذه.

«عدىّ ينظر فلا يجد بالحجرة غيرها.. يستهول أن يجلس عليها ويدع النبى – عليه السلام – يجلس على الأرض..».

عدى بن حاتم : (مستهولاً) بل أنت فاجلس عليها!

النبى : (فى حزم) بل أنت..

«عدىّ يجلس على مضض، لا يصدق أن النبى يجلسه على الوسادة ويتخذ هو الأرض مجلسًا.. يتمتم لنفسه: «والله ما هذا بأمر ملك».. يقطع النبى – عليه السلام – تأملاته..».

النبى : إيه يا عدىّ بن حاتم ألم تك ركوسيًا (قوم لهم دين بين النصارى والصابئة)؟!

عدى : بلى.

النبى : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع (ربع الغنيمة)؟!

عدى : بلى.

النبى : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك.

عدى : (وقد أخذته دهشة مغموسة بالتصديق) أجل والله..

النبى : لعلك يا عدىّ إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم.. فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف.. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم..

«عدىّ بن حاتم ساهم مطرق يفكر.. يستعيد مشهد الرحمة المهداة مع المرأة البسيطة التى استوقفته فتوقف لها وسمعها فى صبر وحلم – ويستعيد ما فعله معه الآن لتوه حين صمم على أن يجلسه على الوسادة ويجلس هو على الأرض.. يقول عدى لنفسه متمتمًا: «والله لا يفعل ذلك إلاّ نبى».. وإله لفى خواطره يسترجع ما سمعه منه الآن لتوه، قد عرف عنه أشياء مجهولة لا تنكشف معرفتها إلاّ لنبى، وحدثه حديث صدق لا يصدر إلاّ من نبى.. عدىّ ينشرح صدره للإيمان فيطفق ناطقًا بالشهادتين..».

عدى : أشهد أنه لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله..

«النبى يفتر ثغره عن بسمة رضا..».

* * *

«المدينة، البيت النبوى وقد هبت رياح الغيرة النسائية فطوت ما كان من وئام.. ما كادت غيرة عائشة من جمال زينب بنت جحش تهدأ بما جبلت عليه زينب من سعة أفق وصدر، حتى جاء ميلاد إبراهيم ابن الرحمة المهداة من مارية القبطية مجددًا لرياح الغيرة، ومؤججًا لمشاعر الزوجات أن المصرية قد وهبت ما لم تهبه زوجة من زوجات الرسول منذ رحيل خديجة عليها الرضوان.. لم يكن الميلاد بسيطًا على قلوب زوجات شغفن حبًا بالرحمة المهداة، وازدادت أشواقهن إلى فلذة كبد تربط رباطًا أبويًا برسول القرآن.. كان طبيعيًا أن يكثر النبى بعد ميلاد إبراهيم من زيارة مارية لتكتحل عيناه برؤية الوليد الذى حملت بسماته المسرة إلى قلب طال به الشوق إلى وليد بعد أن انقطعت ذريته من الذكور فماتوا فى مهد الطفولة، وبعد أن فارقت من فارقت من بناته حتى لم تعد إلاّ الزهراء وأم كلثوم.. على قدر حب النبى وحفاوته بالوليد إبراهيم، على قدر ما تحركت عوامل الغيرة الأنثوية حتى لم تستطع عائشة أن تخفيها حين

حمل إليها النبى وليده إبراهيم بين يديه يطلعها عليه وهو فياض بالبشر يريها ما بينهما من عظيم الشبه، فما ملكت إلاّ أن غلبتها غيرتها فتنكر الشبه الواضح.. لم يكن ذلك هو كل ما طرأ على الزوجات فى البيت النبوى، إن بعضهن ليتحدثن بأنه تصادف أن استقبل النبى حليلته ماريه فى بيت حفصة فغلبتها غيرة جامحة وغضب غضوب لم تستطع أن تكتمه!..».

«مع هبوب رياح الغيرة، وما صاحبها.. وقد تصادف أن النبى - عليه السلام - كان يزور زوجته زينب بنت جحش، فيطيل عندها المكث، وتقدم له عسلاً يحبه.. فقد كان - عليه السلام - يحب الحلواء والعسل، فاتفقت عائشة وحفصة على دعابة بثتاها إلى باقى الزوجات أن تقول الواحدة منهن إلى النبى إذا أتاها أنها تجد منه ريح مغافير! (المغافير: بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة) وكن يعرفن أن النبى يكره أن تكون له رائحة لأنه يخاطب الملك جبريل عليه السلام، ولا يحب أن يلقاه برائحة ينكرها فى فمه..».

«بالبيت النبوى، وقد اجتمعت نساء النبى يدبرن لهذه الدعابة، فتسر عائشة إلى سودة بنت زمعة أن تفعل ما رتبن إذا أتاها الرحمة المهداة عليه السلام..».

عائشة : قولى له: يا رسول الله أكلت مغافير؟ سيقول لك: لا. فقولى له: ما هذه الريح. سيقول لك سقتنى زينب شربة عسل. فقولى له: جرست (أكلت) نحلة العرفط (نبت له ريح)!!

«تمضى نساء النبى فيتفقن على ما أسرته إليهن عائشة وحفصة!..».

* * *

«بالبيت النبوى، وقد خلا النبى - عليه السلام - إلى زوجته سودة بنت زمعة، فما أن دنا منها حتى بادرته..».

سودة : يا رسول الله، أكلت مغافير؟

النبى : لا.

سودة : فما هذه الريح؟

النبى : سقتنى زينب شربة عسل!

سودة : جرست (أكلت) نحلة العرفط (نبت له ريح)!

«النبى - عليه السلام - يظهر عليه الضيق، ويكره أن يكون له رائحة وهو يناجى الملك.. ينصرف عليه السلام عنها.. يتكرر مع زوجات النبى ما أبدته له سودة، حتى إذا ما ذهب إلى حفصة ولقى عندها ما لقى عندهن، أخبرها أنه قد أكله بكعكة عند زينب بنت جحش، وأوصاها أن تكتم ذلك وأمر مارية، فقد كره إثارة الغيرة بين نساء بيته، مثلما كره أن يجدن عنده ريح المغافير، وقطع على نفسه عهدًا أن يحرم على

نفسه هذا العسل، وانصرف عن حفصة مطمئنًا أنها ستحفظ عنه ما أوصاها به!..».

* * *

«البيت النبوى وقد مرت أيام، وأدركت بصيرة النبوة أن حفصة أفشت ما أوصاها الرحمة المهداة بكتمانه، وأن الحديث بداره قد كثر حتى هجر - عليه السلام - زوجاته هجرًا رفيقًا..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة وقد ماجت الأخبار أن النبى - عليه السلام - قد يطلق نساءه بعد أن قرر أن يعتزلهن شهرًا.. وأن المسلمين لفى حديثهم وقد ركبتهم الهموم، وعمر بن الخطاب منتح يفكر مكروبًا فى هذا البلاء العظيم بينما تأتى أخبار بأن غسان تريد أن تهاجم المسلمين، وإنه لفى تأملاته يفزعه أحد الأنصار مناديًا..».

الأنصارى : (مناديًا) حدث اليوم أمر عظيم!

عمر بن الخطاب : (وهو ينهض وجلاً) ماهو؟ أجاءت غسان؟

الأنصارى : لا. بل أعظم من ذلك وأطول، طلق رسول الله نساءه!!

عمر بن الخطاب : خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون.

«عمر يلملم ثيابه ويطير إلى بيت النبى. يستأذن على ابنته حفصة.. يدخل عليها فيلفاها باكية دامعة!».

عمر : (لحفصة) ما يبكيك؟!.. ألم يكن قد حدثتك بهذا؟..
(يستأنف متسائلا) طلقكن رسول الله..

حفصة بنت عمر : لا أدرى ما أقول، هو ذا معتزل فى هذه المشربة..

«عمر ينصرف، فيخرج إلى المسجد النبوى، فيلفى الناس فى حزن مقيم وبكاء.. لا يستطيع الصبر على ما يرى فيقفل عائدًا إلى بيت رسول الله ينادى على غلامه..».

عمر : (للغلام) استأذن لعمر..

«ينصرف الغلام لبرهة يكر بعدها عائدًا..».

الغلام : (لعمر) قد ذكرتك له فصمت..

«عمر ينصرف يائسًا محبطًا..».

* * *

«بعد بضع ساعة.. البيت النبوى، عمر يقفل عائدًا يطلب إلى غلام النبى - عليه السلام - أن يستأذن له.. الغلام يدخل إلى النبى ولكنه يخرج منكسًا يقول لعمر..».

الغلام : (لعمر) قد ذكرتك له فصمت..

«عمر ينصرف للمرة الثانية يائسًا محبطًا، يلحق بأصحابه بالمسجد علّه يجد لديهم بعض السلوى من هذا الكرب العظيم..».

* * *

«بعد ساعة.. عمر يقفل عائدًا إلى البيت النبوى، يعاود سؤال الغلام أن يستأذن له الرحمة

المهداة.. الغـلام يدخل ثم يعود بمثل ما عاد به سلفًا، يشرع عمر فى الانصراف، ولكن الغلام يلحق به يبشره بأن الرسول – عليه السلام – قد أذن له..».

«عمر يسارع بالدخول، فيلفى النبى فى المشربة مضطجعًا على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، وقد تركت الرمال أثرًا بجنبه متكئًا على وسادة أدم حشوها ليف، عمر يلقى السلام ثم يبتدر النبى – عليه السلام – سائلا..».

عمر : (للنبى سائلا) يا رسول الله، إن كنت طلقت نساءك فإن الله وجبريل وملائكته وأنا وأبا بكر والمؤمنين معك.

النبى : (باقتضاب حزين) أنا لم أطلق نسائى..

عمر : (يهلل مكبرًا) أفأخبر الناس أنك لم تطلقهن؟

النبى : إن شئت فافعل.

عمر : (صائحًا وهو يطير إلى المسجد) لم يطلق الرسول نساءه.. لم يطلق الرسول نساءه..

* * *

«النبى – عليه السلام – مختليًا إلى نفسه – يتهجد ويتعبد ويناجى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا

فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (سورة التحريم الآيات: ١ – ٥)

(يرتفع الوحى)

* * *

«البيت النبوى وقد امتلأت نفسا عائشة وحفصة بالأسى والندم على ما كان، ولكن رياح الغيرة الأنثوية لا تزال ممسكة بتلابيب النفوس!!

لقد هب إلى جوار هذه الرياح ما دخل ويدخل بيوت المسلمين وزوجاتهم من خيرات الأنفال، بيد أن شيئًا من ذلك لا يدخل بيت النبى ولا على زوجات النبى، فهو يرى أنه لم يخلق للدنيا ولا خلقت الدنيا له، ويبادر عليه السلام بنصيبه من الأنفال والسهمان إلى مساكين وفقراء المسلمين، ويرد الفائض على ما يجهزه المسلمون من عتاد وكراع لرد غوائل المتربصين بالإسلام والمسلمين..

لم تستطع بعض زوجات بيت النبوة احتمال ما يرين عليه يسر حال المسلمين، وضيق الحال فى البيت النبوى حتى لكدن أن يعشن على الكفاف مع هذا الزاهد – عليه السلام – الذى ذابت

ذاته فى الذات الإلهية ولم يعد يلتفت إلى شـــىء مـــن نعيم الدنيا وترفهـــا وزينتها.. قد بدأ تململ نســـاء النبى – عليه الســـلام – هينًـــا ولكن لين النبى ورحمته وبره شـــجعهن على الإفصاح عما ضاقت به صدورهن من الشظف الذى يعشن فيه فى بيـــت النبوة، وهو الذى لـــو أراد مال الدنيا لجـــاءه إلى داره هينًا لينًا مســـرعًا.. تترى الأنباء بما يجرى فى بيت النبوة فيســـارع إلى هناك عمر ابن الخطاب ناويًا أن يبدأ بابنته حفصة!..».

«بصحـــن البيـــت النبـــوى، يدخـــل عمر بن الخطاب مستأذنًا، فيلقى الرحمة المهداة جالسًا ســـاكنـاً علـى محياه وجـوم، ومن حوله نســـاؤه ينظرن إليه فى حياء وإشفاق، ولا تجرؤ إحداهن على الإفصاح عمـا يشـــكون منه.. بجانب صحن الدار أبو بكر واجم لوجوم الرســـول.. ويبادر عمر فيســـعى إلى إدخال شـــىء من المســـرة على قلب النبى فينطق قائلاً..».

عمر بن الخطاب : يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها..

«النبى – عليه السلام – لا يملك نفسه، فيفتر ثغره عن بسمة ضاحكة..».

النبى : (لعمر) هن حولى يسألننى النفقة..

«يبادر عمـــر فيطير إلى ابنته حفصة راميًا أن يجـــأ عنقها، بينما يصنـــع صنيعه أبو بكر الذى

نهض غاضبًا إلى عائشة.. بينما يشير إليهما النبى أن يترفقا ولا يشتدا على ابنتيهما، وينهاهما عن المساس بهما..!».

أبو بكر وعمر : (عاتبين ناهرين لعائشة وحفصة) تسألن رسول الله ما ليس عنده؟!

عائشة وحفصة : والله لا نسأل رسول الله أبدا شيئًا ليس عنده

«يتغشى الندم بين زوجات النبى على ما أثقلن به عليه.. إنهن يعلمن أنه نذر نفسه لرسالته. وكم قال لهن إن الدنيا ليست له ولا هو للدنيا.. وبرغم ما تبدى على قسمات نساء النبى من ندم وأسى، إلاّ أن صدمته مما كان عكرت وجدانه وملأته بحزن دفين، اعتزم معه أن يعتزل نساءه حتى يقضى الله أمره..»

* * *

«بعد أيام، النبى – عليه السلام – فى خلوته يتعبد ويتحنث ويناجى ربه، يوافيه الروح الأمين فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب الآيتان: ٢٨ ، ٢٩)

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى – عيه السلام – يمضى حاملاً الخيار الـذى نزل بـه القرآن إلى زوجاتـه، أن يفارقنه فيسرحهن سراحًا جميلاً ليمتعن بطيبات الحياة الدنيا وترفها وزينتها، وبين أن يصبرن معه وعنده على ضيق الحياة وشظف المعيشة وكفافها.. يبدأ – عليه السلام – بعائشة فيناديها..».

النبى : (لعائشـة) إنى ذاكر لك أمرًا فـلا عليك ألاّ تتعجلى حتى تستأمرى أبويك..

«النبـى يتلـو عليها ما تنزل عليه من سـورة الأحزاب..».

عائشة : (عاتبـة) أفى هذا أسـتأمر أبوى.. إنى أريد الله ورسـوله والدار الآخرة..

«زوجـات النبى يهللن ويكـبرن ويصادقن.. تختلط الدموع بالمسـرات، ويعود السلام يرفرف بجناحيه على بيت الرحمـة المهداة..».

* * *